مجلة
دراسات إنسانية

تصدرعن جامعة مستغانم
ISSN: 2437-119X

العـدد: 03 (2017)، ص ص46- 60

اللغة أداة للإيديولوجيا " اللغة رداء الأفكار" جونسون

رائد عَبِيس مطلب الحَسناوي*

قسم الفلسفة ـ كلية الآداب ـ جامعة الكوفة، (العراق).

تاريخ الاستلام: 2016/10/03 تاريخ النشر: 2017/12/20

الملخص:

علاقة اللغة بالفكر هي علاقة تاريخية وهما متلازمان منذ أن استعمل الإنسان عقله للتفكير في الوجود ومنذ إن استعمل الإنسان اللغة للتعبير. فاللغة هي مفتاح التعامل والتواصل بين البشر وهي أيضاً أداة القطيعة والعداء والتنافر، فاللغة هي سلاح ذو حدين. فعندما تستخدم كأداة لإيديولوجيا مشئومة حاقدة، تكون عندئذٍ كل المفردات والعبارات هي الرابط بين هذا الفكر وهذه العبارات الإيديولوجية التي تصاغ وتبني على أساس من التحكم حتى بقواعد اللغة والتلاعب بالألفاظ وإشاعة مصطلحات ترسخ عقيدة اللغة الجديدة المعبأة بالإيديولوجيا والإيديولوجيا المعبأة باللغة التأويلية.

الكلمات الفتاحية: اللغة؛ الإيديولوجيا؛ الأداة.

Abstract:

The relationship of language to thought is a historical relationship of self-expression. Language is the key to interaction and interaction between humans and it is also a tool for estrangement and disharmony, for language is a double-edged sword. Examples used as a tool of a sinister, malevolent ideology, then all the vocabulary and phrases are the link between this thought. The ideological phrases that are formulated and built on the basis of controlling even the grammar of the language, the manipulation of words and the spread of terms that consolidate the doctrine of the new language filled with ideology and ideology packed in hermeneutics.

Keywords: the language; ideology; the tool.

* **رائد عَبِيس مطلب الحَسناوي**، أستاذ قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، (العراق).

ralhusnawy@yahoo.com

1. مقدمة:

إنَّ علاقة اللغة بالفكر هي علاقة تاريخية وهما متلازمان منذ أن استعمل الإنسان عقله للتفكير في الوجود ومنذ إن استعمل الإنسان اللغة للتعبير. فاللغة هي مفتاح التعامل والتواصل بين البشر وهي أيضاً أداة القطيعة والعداء والتنافر ، فاللغة هي سلاح ذو حدين. فعندما تستخدم كأداة لإيديولوجيا مشئومة حاقدة ، تكون عندئذٍ كل المفردات والعبارات هي الرابط بين هذا الفكر وهذه العبارات الإيديولوجية التي تصاغ وتبني على أساس من التحكم حتى بقواعد اللغة والتلاعب بالألفاظ وإشاعة مصطلحات ترسخ عقيدة اللغة الجديدة المعبأة بالإيديولوجيا والإيديولوجيا المعبأة باللغة التأويلية.

وفلسفة التأويل: هي أداة لتعميق فكر أيديولوجي مستخدم تارة قوة النص وتأثيره وقوة الفهم وبساطته، وخبث التأويل وسذاجته تارة أخرى ، فهي تستخدم بأوجه متعددة وتشكل خطراً على الفهم الإنساني .

فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على أداتية اللغة الإيديولوجية النصية والفهمية والتأويلية في ما ينطوي عليه فكر ما بعد الحداثة. فكان على ثلاثة محاور كل محور يتناول جنب من جوانب الاستخدام الإيديولوجي الذي يمارس ثقافة إيديولوجية تعم وتنتشر على حساب الإيديولوجيات الأخرى ، وكلما انتشرت زاد صراعها وكثرة فتنها ,فحينها تُشظى اللغة لتصبح عبارات نارية تقتل أهل الفكر وتحصد أرواح الأبرياء ، تلك هي لغة الإيديولوجيا التي نشعر بإنها تمارس معنا كل يوم.

2. المبحث الأول: إيديولوجيا (النص)

للنص أبعاد إيديولوجية سواء كان هذا النص "نص مقدس" أم نص شبه مقدس ، فالإيديولوجيا تتكون من فاعلية النص مع الفكر والتعصب ، فعندما يحمل النص خطاباً معيناً فإنه يوجه عقولاً معينة صوب قضية معينة ، وهذا هو التفاعل مع النص. وعندما يتجه الفهم والتأويل إتجاه الحركة الفكرية والفهمية المتجه صوب السياسة أو المجتمع أو

التحزب، سوف يخلق في ذلك الآن فكراً يُميل إلى التقوقع على أقواس ذلك النص. وبالتالي يتحول إلى دوغما ، والدوغما تخلق قطيعة والقطيعة يعني التخندق ، وبالتالي حطمنا كل قدسية أو شبه قدسية للنص بأبعاد الفهم القاصر أو التأويل الإيديولوجي.

نقصد هنا بإيديولوجيا النص: هو تحول النص إلى مرجعية ذات قراءات ضيقة وفهم قاصر وتأويل خاطئ التي تنتهي بالمؤدلج إلى التقوقع والتعسكر وإلى الحرب وإلى الخصام وإلى إلغاء الآخر والانتقاص منه وإلى كونية الإيديولوجيا الذاتية المتمثلة بمتن النص .

من هنا يقال: "لقد كان الصراع حاداً بين أهل التدبير وأهل الرأي في المجال تأويل النص الديني مما أوجد مجالاً أوسع لتبني الكلام والمنطق محاولة لتكريس عملية الإقتناع بالحجية والبرهان العقلي"(فيدوح، 2005: ص. 55).

فالمنطق والبرهان والعقل ، لا يمكن لأي إيديولوجيا أن تكتسب الشرعية ما لم تُحكمَّ العقل، فأفكار العقل المنطقية والبرهانية هي ليست إيديولوجيا التي نفهمها بالمعنى السلبي ، هذه قناعات لا احد يصل إليها لأنها غير مُتأدلجة. فالإيديولوجيا التي نقصدها هي تلك النصوص المكونة لها بالنصوص والكلام والبرهان والحجج . ولا نقول إنها متكونة من "عقل ومنطق" لأني أقصد بإيديولوجيا النص هو النص الشبه مقدس الذي يحمل أوجه مختلفة وتأويلات متعددة .

فالمؤدلج للنص يضع النص في وسط بيئة وأفهام لا تدرك كل الإدراك ما هو مقصود ، وأحيانا يكونوا ضحية الثورية الهوجاء ، فالثورية والإيديولوجيا مكونان مهمان للنص الإيديولوجي الذي يزج به المؤُدلج ليفهم المؤَدلج خلاف ذلك الشيء. فالمسافة بين الإلقاء والفهم هي مسافة الإيديولوجيا المقصودة من تلك النصوص. ولعل هذا الأمر واضح جداً من خلال استثمار النصوص المقدسة في تجنيد الناس للقتال مثلاً. فالسمع والكلام وترديد النص وحفظ النص وإشاعة النص بالتثقيف وتهويل النص كفيلان بخلق إيديولوجيا لكن ما أبعاد هذه الإيديولوجيا؟ وما هو هدفها؟ ولماذا فهمت كإيديولوجيا؟.

النص أمام هذه الأفكار يقع ضحية لأبعاد إيديولوجيا أكبر وأهم من عملية الاعتقاد. فالإعتقاد يعني التسليم وربما يكون هذا شأناً ذاتياً . ولكن الخطورة في الموضوع هو تحويل النص موضوعياً إلى خطاب للآخر وهذا يعني إنا وجهنا النص توجيهاً إيديولوجيا . فالقراءة إيديولوجية و الفهم إيديولوجيا والاعتقاد إيديولوجيا والتأويل، كلها تقع على النص فيتحول ذلك النص إلى شعار " للمقاومة أو للعدوان أو للشرعنة". هنا يختلط الفهم مع الوهم وتتحول الإرادة الواعية إلى إرادة إيديولوجية. تسير باتجاه بوصلة النص وأفكار النص ووهم النص.

يتعلق الأمر هنا بقصدية الكلام وبعدها قصدية النص وبعدها قصدية الفهم وبعدها قصدية التلقي ومن ثم قصدية الإعتقاد ومن ثم بقصدية التأويل. وهنا تكمن مشكلة كبيرة وقعت بها كثير من الاتجاهات الفكرية والحركية ولاسيما مشاكل محيطنا الإسلامي. فعندما تتحول الكلمة إلى "عيارة نارية" ساعتها يكون الرابط بينهما هو الإيديولوجيا وحسب وتكون المسافة بين إسماع النص وتلقي النص فهماً إيديولوجيا وسلوك إيديولوجي وقناعة إيديولوجية.

"فبين ما قاله النص و ما لم يقله من جهة وما يريد قوله وما لا يريد قوله - من جهة أخرى - جسر تتوسطه اللغة التي يتطلب فهم منطوقها أحياناً استدعاء اللامنطوق" (رمزي، 2010: ص. 104).

فاستدعاء اللامنطوق هنا هو الذي يبلور إيديولوجيا النص من خلال البعد الإعتقادي للنص الذي يجره إلى التسليم به . فنقد النص ضرورة من أجل التحرر من إيديولوجيا النص، فغياب المنهج النقدي هو السبب الرئيس في تشكل الإيديولوجيا بين أبعاد ومفاهيم ومصطلحات النص التي ما إن تسمع حتى تغدوا شعاراً وعنواناً في جبهة التطرف.

فنحن بحاجة إلى قدرة استقبال للنص وإن "هذا الاستقبال للنص لا يفترض حياداً أمام الأسس ولا تهميشاً وإضعافاً للذوات وإنما بالعكس يعني القدرة على امتلاك النص لجعل التصورات المسبقة والأحكام الشخصية أحكاماً ناضجة" (تردين، 2009: ص 108).

ماذا يعني النضوج هنا؟ هل هو نجاح عملية غسل الأدمغة التي وجهت للآخرين؟ هل يعني تمام الفهم والإدراك؟ ماذا يعني استقبال النص باتجاه إيديولوجيا التوجه؟ هل يعني إيديولوجيا الاستسلام للنص؟ .

إن الإدانة الكبيرة التي يجب إن توجه لواضع النص الإيديولوجي ، هي عدم شعوره بمسؤولية وضع " النص" ، فمن المفترض أن يكون مسؤولاً عند وضع النص وقبل إن يُفكر بكتابته وقبل إن يُلقيه وقبل إن يُسمعهُ وقبل إن يحاكي الشارع ومحيطه و قبل التفوه بتلك العبارات والكلمات المكونة لذلك النص ، لأنه كثيراً ما يُساق كحجة يقترن عندها مع "النص المقدس" من قبل السذج من الناس ، وهل نُحمل الله عندها مسؤولية عدم فهم النص أو أدلجة النص؟ فالله غير مسؤول أمام تأويلاتنا الخاطئة, ولا عن توظيفنا للنص أو محاكاة النص بحسب ما تشتهي إيديولوجيتنا أو ما نُريد إن نبني عليه من أفكار.

والنص المقدس ليس نصاً إيديولوجيا مغلقاً. بل هو نص مفتوح أمام أفهام وقراءات مختلفة ولكن شريطة إن لا تخل بقدسيته وتلقي بالمسؤولية على واضعهِ ومشَّرعهِ. فشرعية النص تأتي بدون إيديولوجيا بمعنى إنه نص لا يحب الإنتماء ، لان النص المشرعن هو نص إيديولوجي بامتياز. تتحدث عنه الجماعات المتطرفة الفاهمة للنص إيديولوجيا على إنه جزء من منظومتها الفكرية. فالنص المقدس ليس ملكاً لجهة وليس إيديولوجيا لطرف.

فالكتب الآلهية المقدسة عندما كانت كُتباً لدين وهذا الدين هو عالمي ورسالته إلى كل الإنسانية، بالتأكيد هو ملك لكل إنسان يُريد أن يقرأ ويفهم ويؤول. فالتأويل الذي نتحدث عنه داخل إطار النص المقدس. يكون تأويلاً محترماً لا يمس المقدس ولا يخرج عن قدسيته ، بمعنى لا يحوله إلى نص شبه مقدس أو هو ما دون الشبهية ويرتبط بفهمه وبإدراكه الإيديولوجي.

هنا تكمن الحاجة إلى قراءة النص " إنسانياً و عالمياً " قراءة النص المقدس إلى ما هو مقدس ومن أجل ما هو مقدس وهو بحسب ما جاء في الكتاب المقدس وهو "الإنسان" كيف لنا إن نخرج بفهم يجعلنا ندرك من خلال النص بأن "الإنسان هو المقدس وليس

النص"؟ حتى لا نقع في إيديولوجيا التنصيص ولا نص الإيديولوجيا المتعصب ، عِندها تتحول لغة النص إلى أداة من أجل إيديولوجيا معينة(فندي، ص. 125).

3. المبحث الثاني: إيديولوجيا (الفهم)

أن لغة أي نص مهما كانت صعوبتها ، لابد أن تنتهي إلى فهم وللفهم منطلقات وأدوات تساعد إلى تفكيك النص وتبسيط لغته، ولكن نحن أمام مشكلة كبيرة تتمثل بالفهم المسبق والمستعجل للنص أو الفهم الغير متعمق ، فالفهم السريع لأي نص لا يعطي للنص حقه ، لأنه مهما أشتمل على عبارات ومصطلحات مفهومة إلا أنه لا بد إن ينطوي على مقصد خاص يراد به أن يفهم عليه. وبالتالي فإن المتحدث أو الكاتب عليه إن يُراعي الأفهام عند الحديث أو تدوين عبارة محددة أو جملة معينة أو نص معين يُوجه صوب مسامع كثيرين من الناس.

فالخطيب والأستاذ والقائد كلٌ سواء في تحديد مسؤولية تحديد النص وتلقي النص وأبعاد "النص". ولعل سائلاً يسأل وما دخل صاحب النص أو المتكلم في فهم الآخرين؟ ليفهموه كيف يفهموه فهو برئيّ مما يقال ويُقلد ويؤول أو يدرس فهذا شأنهم!.

أعتقد أن الفهم هو مرحلة ثانية تتوسط بين قراءة النص وبين القدرة على التأويل. فالفهم هو غير التأويل، فعندما يفهم النص على علتهِ فهذا يصبح تقليداً .والتقليد خضوع . والخضوع إيديولوجيا. وهنا تكمن خطورة الفهم الإيديولوجي الذي يجب أن نحذر منه. فعامة الناس المقلدة والسامعة والطائعة لزعيمها وترقبه ماذا يقول؟ وكيف يوجه؟ وبماذا يتفوه؟، حتى يتخذوا من تلك العبارات شعارات ومن ذلك التصريح حرب. نفهم عندها أن للفهم إيديولوجيا هي : "إيديولوجيا التلقي الأعمى والصمت المطيع". نعرف عندها أن غسل الأدمغة لا يكلف هؤلاء القادة كثيراً. فالعقول مُهيئة ومستعدة وهذا الاستعداد من الناحية المعرفية متأتي من ضيق أفق الفهم الرسالي للكلمة وتجاهل دور اللغة وكيفية تأثيرها على

المتلقي من قبل المتصدر وكيف يستعملون اللغة كأداة ووسيلة لتوسيع الأفهام الخاطئة والتصورات الموهومة عن عملية القيادة وإيجاد الإتباع.

هنا يجب أن تفهم أن للغة مسؤوليتها في تحقيق الوعي ورسم السياسات ووضع التخطيط وتدبير القرارات وذلك من خلال "تشخيص المشاكل ، وقصور الحلول الممكنة ، واتخاذ القرار "(كالفي، 2005: ص .16). كل ذلك حتى لا نقع ضحية لإيديولوجيا تُريد أن تفرض أفهامها على الآخرين وتروج عندها لإيديولوجيا القيادة المتسلطة.

ويمكن إن ننظر إلى إيديولوجيا الفهم من زاوية سذاجة الفهم ، ومن زاوية ذكاء الفهم ، سذاجة الفهم من قبل العامة البسطاء من الناس الذين دائماً يكونوا ضحية الخطابات والهتافات والشعارات والتظاهرات الإيديولوجية و استغلال هذه السذاجة الفهمية فيها يعد إيديولوجيا تسويقية واضحة من قبل المؤدلج ففهم موجه ضد فهم .قوة فهم باتجاه ضعف فهم .تنتج إيديولوجيا مُبرمجة. باتجاه هدف إيديولوجي معين وهذه الحال تنعكس وبشكل جَليّ في المجتمعات ذات الولاء الديني الواضح والتقليد السياسي المألوف. فالساذج يضع نفسه تحت تصرف أقوال وأفعال من يُقلدهم وبالتالي يتحول إلى بهيمة إيديولوجية ربما ينتهي به الحال إلى أن يكون كبش فداء لإحدى حماقاتهم .

هنا يكمن دور اللغة الإيديولوجية كموجه ومحرك ، للعبارات والكلمات والألفاظ الرنانة التي يزداد وقعها في سماع المقلدين من البشر ، وكيفية تعبئتهم إيديولوجيا بمفردات قليلة ومختصرة بأسلوب مؤثر وبتنغيم مقنع. عندما يقع هذا الاستعداد في نفوس المتلقين وهو فارغ من الداخل ومملوء بهواء الانطلاق، تتحول تلك الكلمات إلى نار التحريك وشعلة للانفجار يتحرك عندها الهم الإيديولوجي ليتحول إلى ثورة وحركة وسلاح ودم ودمار وإلى معركة بدون تخطيط. وهذا الأمر واقع على مر التأريخ. فالتاريخ يشرح كيف كانت خطابات القادة الرنانة والآنية في سوح المعركة لتدفع بالآلاف من البشر على هاوية الحروب بمجرد حصول التعبئة الإيديولوجية المخططة. هذه هي الخدعة التي يكتسبها السذج من الناس نتيجة الجهل وانعدام فلسفة الوعي ، مما تجعل للخطاب منطق وللفهم مدارك وأبعاد

معرفية. فالفهم يجب أن يتحرر من لغة الهيمنة ولغة الإقناع ولغة الخداع ولغة الصناعة الإيديولوجية المميته.

"فالذي يمتلك اللغة والبلاغة يتملك السلطة" ومن يمتلك الفهم يستطيع أن يوجه الفهم باتجاه سلطته وإيديولوجيته وللفهم"، بحسب هيدجر: "فيه نصيب معين من المغامرة إذا ما أخذ في معناه الصارم ، إنه استثمار ولكنه استثمار في مجال الذات في إطار مشروع خاص بالمعقولية، معقولية ليست من بنات أفكار الذاتية المطلقة التي تسعى إلى مراقبة كل مقاصده" (غراندان، 2007: ص. 135).

فتحديد المقارنة أمرٌ في غاية الصعوبة ، فاللغة تكون أحياناً خادعة ، أي عندما تتحول إلى وسيلة إقناع ، فالفهم أحيانا يقف صامتاً أمام إيديولوجيا الهيمنة أو أفكار الإقناع و المُحايلة، فبنية النص التركيبية، قد تكون مصاغة بالعبارات نفسها والكلام نفسه والمقولات والألفاظ نفسها التي ما كانت عليه النصوص البريئة مصاغة ، وهنا تكمن صعوبة الخروج من بؤرة الوقوع في شك الفهم ، التي تحفز بدورها فهم الشك على إنه سوء نية من المقابل الواضع والمصرح بذلك النص.

إذاً كيف تصاغ عبارات نص معين لفهم معين , بدون إيديولوجيا معينة؟ هنا تكمن مشكلة تتمثل في عدم حصر كل التوجهات التي تنبثق من تلك الأفهام. فالعقل هنا يصبح أيضاً أداة مطيعة لفهم ضيق لنص مختزل وبالتالي تختزل كل حياة الإنسان بسبب قصر الرؤية المستقبلية من ذلك الفهم . فمتى ما وصلنا إلى حالة من الإدراك بأننا كـ"ذات" مُخاطبة نصبح في الوقت ذاته آخر مستمع ، بمعنى يجب إن نمتلك القدرة على إسماع أصواتنا قبل أن نَطلب من الآخر الاستماع إلى صوتنا ، يجب أن نفهم إيقاع كلماتنا ونعرف فلسفة كلامنا حتى نستطيع عندها خلق وإيجاد معرفة لا إيديولوجيا من ذلك النص.

فالنص المعرفي أفضل بكثير من النص الإيديولوجي. فاللغة البنائة لتلك النصوص الإيديولوجية ما هي إلا لغة قاصرة على إدراك مسؤولية وحقيقة الأثر العملي لسياق نص

إيديولوجي يُطرح في سوق التداول اللفظي ، يكون أحياناً سخرية وأحياناً يكون شعاراً وثالثة يكون حكمة تُردد.

صحيح "إن اللغة محكومة بالوضع والعرف ولا شك أن ذلك يعكس خصوصية البيئة الطبيعية و الاجتماعية ودرجة المستوى الثقافي للمتواضعين على وضع هذه الألفاظ بصدد تلك المعاني ، والأحكام للغة الوضعية في فهم النص الديني يجعل منها سلطة مرجعية ترد أفق هذا الفهم"(شارفي، ص. ص 99، 100).

وهنا تتحقق الإساءة إلى اللغة وإلى الدين، فوضع نص إيديولوجي من قبل شخص مؤدلج بقصد الأدلجة والكسب ، يضع نفسه أمام مسؤولية التأريخ والكلمة والمعنى ، فعندما يجد سلطة للنص ويُحدد فرضها على الآخرين وينهج في ذلك ، عندها يكون قد وضع " نص سلطة " يجب أن يُحترم ويُقدس ويُتلى .

وبهذه الحالة يصبح نصه وفهم نصه فريضة وسنة وتقليد تنافس الكتب المقدسة (الأنجيل – التوراة – القرآن). ويتحول رجل المهمة الإيديولوجية إلى شعار وإلى رمز وندخل عندها في إيديولوجيا جديدة هي إيديولوجيا "العملقة " عملقة الأشخاص وعبادة الفرد وتصبح نوع جديد من الممارسات العبادية ، ويبقى عندها ذلك الشخص المُتأدلج مجرد من هوية وجوده وكينونته . فيبدأ الخيال والوهم يرسم إليه طريق الحق ربما من خلال عبارات وألفاظ ولغة يُرددها قبل النوم وعند الصباح ، عند العمل والاستراحة ليكون هو ذلك الذي نطق بها أول مرة، ليكون هو القائد هو الرمز هو الهوية .

بهذه الحالة يكون لإيديولوجيا الفهم قد جنت ثمارها وأتت أُكلها ، لماذا ؟ لان إيديولوجيا الفهم ترتكز إلى وسيط يكون بين ظاهر النص وباطنه. ولان "لغة النص الديني ... هي لغة ذات دلالة ظاهرة كما هي في الآن نفسه ذات دلالة باطنية ، أي لغة تجمع بين الظاهر والباطن" (شارفي، ص. 101).

فلغة الدين ورسالته واضحة وصريحة و لا تحتاج إلى إيديولوجيا ، لأنها تُحاكي جميع العقول بالبساطة والتعقيد، عكس لغة الإيديولوجيا التي تبحث دائماً عن وسط أفقي لفهم النص الديني لتمرير أفكارها وترسيخ لغتها.

فألفاظ النص ومعانيه ودلالاته وبنيته تكون معبرة أحياناً عن قصدية الفهم من خلال النص, فيكون النص عندها وثيقة غير مقروءة بل مطبقة ومفعلة ، فالسماع اللفظي غير القراءة التأملية للنص ، فتحاشي لغة النص هو الذي يُعمق القناعة الإيديولوجية بالنص المؤدلج .

ولعل ذلك لا ينطبق على من يُريد أن يعرف بقصدية الإيديولوجية النصية ، فيأتي متطوعاً ومدركاً بأن هذا سوف ينتهي به إلى الخلود والعيش في حياة أخرى ، "إيديولوجيا التضحية" هنا تعمل وفق ما تشتهي إيديولوجيا النص فهو لا يكلفها كثيراً في إجهاد الفهم ، فرغبة الأدلجة كامنة في بعض النفوس التواقة إلى إيديولوجيا التقوقع والتعنصر والتطرف فهي أيضاً أصبحت هوية ربما تعرف عن طريق بطولة الفهم الساذج لإيديولوجيا النص.

4. المبحث الثالث: إيديولوجيا (التأويل)

تكمن خطورة التأويل في سلطة التأويل وسياسة التأويل وإيديولوجيا التأويل وقرار التأويل وأدوات التأويل ، وبلا شك اللغة هي أحدى وأهم أداة للتأويل وما بعدها المنهج والقدرة على التأويل. ولكن كل المعارك التأويلية التاريخية أثبتت أن للتأويل إيديولوجيا وللمؤول أهداف إيديولوجية ، لأن منشأ كل حركات التأويل المرتبطة بالسياسة أو بإيديولوجيا معينة هدفها هو المعارضة الفكرية والإيديولوجية والحزبية والفئوية والتقليدية والعنصرية ، فحرب التأويل حرب ساخنة ومستمرة على مدار التأريخ وفي كل المدارس الفكرية والفلسفية والتأريخ الديني خير شاهد في هذه المعارك وخير مغامر.

نقصد بإيديولوجيا التأويل هو الممارسة الإعتقادية الناتجة من تأويل نص سواء كان خطاباً أو نص من خطاب أو فتوى أو تصريح أو بيان أو في كتب معينة ما نسميها بالنصوص

"**شبه المقدسة**" عند بعضهم وذلك لقدسية قائلها أو النصوص المقدسة في الكتب الدينية ، هذا الأمر وما عليه وما ينطوي به من مخاطر لا بد من كشف أبعاد التعامل مع النص تأويلياً وإيديولوجيا. هنا تقف مع النص ، وكيفية فهم النص من أجل التأويل؟ وكيف نخرج إيديولوجيا وأفكار ومعتقدات جديدة من خلال القراءات المتجددة للنص بطريقة تأويلية. بالتأكيد هناك راديكالية في الموضوع ويمكن إن نحددها من خلال النقد الذي يمارسه المؤول الراديكالي اتجاه التيارات الأخرى والأفكار الأخرى. فالنقد العنيف هو نتيجة تأويلية متطرفة لإيديولوجيا جديدة. كيف يتحدد البعد الإيديولوجي من النص من التأويل من الفهم؟ هذه الأمور والمسائل لا يمكن لها أَن تأخذ بفاعليتها إلا ومن ورائها محرك بمعنى " **المؤدلج**" الذي يحرك نص من أجل الأدلجة لإثارة فتنة تأويلية منطوية على صراع بين جماعات بشرية. عندها نفهم وبشكل سهل بأن سياسة التأويل الإيديولوجي بدأت تفعل فعلها وترسخ فلسفتها، لكن لا بد لها من أن تلعب لعبتها اللغوية في اتجاه تحديد قيمة النص الذي تضعه في أجندتها الإيديولوجية.

لا يمكن الخلاص من هذه المشكلة إلا بالعودة إلى امتلاك الوعي المسؤول والناقد ، نقد الموقف يحتاج إلى مرونة في التعاطي وإرادة التراجع أو التقويم ، فالمسؤولية ليست هي مسؤولية اللغة من كلمات وعبارات ، ولا فهم و لا تأويل ، بل هي التوظيف فالتوظيف الاصطلاحي والدلالي للغة يعكسان مدى قابلية النص المتكون من هذه الأسس لان يكون أداة سهلة بيد المؤول الإيديولوجي. فلغة التعقيد هي الأشد استثمارا في هذا المضمار بينما اللغة التي لا تنطوي على عبارات معقدة ولا مبطنة هي الأكثر تداولية بين الأفراد دون اللجوء إلى استعمال لغة جديدة بينما هي لغة التأويل وسرعان ما تتلقفها بعض الاتجاهات لتمثل لها مرجعية في الفعل والقول.

وهنا يكون النص حاضراً للاستعمال بهذا الاتجاه وهذا ما يُحذر منه صاحب النص البريء الذي لا يتحمل أي فهم أو أي اتجاه يدخل فيه كمؤسس غير مباشر ولكن هذا في حالة إن اللغة تكون حسب ما يرى دريدا "أن اللغة قادرة على التعبير على الأفكار من دون

تشويهها. وتغييرها أو تكييفها على الأقل ، واعتبرت الكتابة ثانوية في مقابل الكلام الذي هو مصدر المعنى الذي ينويه النص الذي يكتبه(معرف، ب س: 51)

فالمنطوق والمكتوب من الكلام يؤدي نفس المعنى الإيديولوجي في حالة التأويل المقصود وهنا لا مهرب للغة من الاستعمال السيئ , فمتى ما عبرت اللغة عن نفسها بطريقة بسيطة في نص أو خطاب زادت احتمالية التأويل البسيط أكثر ، لان الفهم الذي يوجه من التبسيط يأخذ منحى إيديولوجي أكثر وذلك يتمثل في غسل الأدمغة وإيجاد لغة الإقناع والحث والتحريض وكلما زاد النص تعقيداً قلت نسبة التأويل أو الرغبة في ذلك ، لأن عقدة النص . تعني للإيديولوجي . إيديولوجيا جديدة ، وهذا هو الذي يُفسر الانشقاقات في الحركات الدينية مثلاً أو السياسية ، فبناء معرفة تأويلية إيديولوجية تزيد من قوة الطرح وجرأة الحركة و انتشار الإيديولوجيا. ولكنها تحتاج إلى لغة قوية تعبر عن ذاتيتها مرة وعن موضوعيتها مرة أخرى ، فالبحث عن خصوصية التأويل يجب إن يسبقه البحث عن لغة خاصة تمثل البناء التأويلي لتلك الإيديولوجيا. إذاً لو طرح سؤال ما هي قدسية النص واللغة اتجاه قدسية التأويل في نظر الإيديولوجيا؟.

نحن نعرف بإن الإيديولوجيا تبحث عن النتيجة دائماً بغض النظر عن المقدمات فهي دائماً تشرعن لذاتها عن طريق العديد من الممارسات السياسية و الاجتماعية والعلمية والمعرفية . فحدودها غير مرتسمة في نظرتها للوجود ، فالنظرة الإتساعية تجعلها تعيش في وهم وخيال الشمولية المزعجة التي تسعى بشكل أو بآخر إلى إلغاء الآخر وتهميشه عندما يرفض أن يدخل في نص تأويلتها التي اشتقت شرعيتها منه. هنا تبدأ التصفيات الجسدية والإقصاء والهيمنة والتشدد والتسلط الأعمى الذي يوجه الوهم التأويلي الإيديولوجي ، ولعل هذا الذي نعبر عنه وهم ، هو عين اليقين و الاعتقاد الصحيح عِندها. فالباحث الإيديولوجي المستخدم لكشف هذا الخفاء وراء النص يجد نفسه ربما دون أن يشعر بأنه دخل في دائرة التأويل الضيقة التي كلما ضاقت ضيقت الخناق على غيرها وأصبحت هويتها وكينونتها ، كما عبر عن ذلك هيدجر: "لا يمكن للتأويل أن يكتفي بتفسير الشيء (النص) بل هو يسعى إلى

أن يفهمه والفهم موضوع سؤال ... ذلك أن الفهم ليس وظيفة نفسية أو معرفية فقط. وإنما هي الجسر الذي سنبني عليه علاقة الكائن بالكينونة(ابراهيم، ب ت: ص 219) .

فهذه الإيديولوجيا التي أصبحت في حقيقتها هي مجرد تأويل ، الذي يُعد روحها ومنهجها ، بحيث أصبح تأويل الفكر الإيديولوجي ، عن طريق المنهج التأويلي محتاج إلى لغة إيديولوجية أيضاً . مادام اللغة هي أداة طيعة في الصياغة والتركيب فلا حاجة بعد أَن نحول اللغة الاعتيادية الخالية من الأبعاد الإيديولوجية والتي تُصف بالوضوح والدقة ولا حاجة أن نُحرفها بفهمنا الإيديولوجي إلى حيث ما نريد ، أو ما تريده الإيديولوجيا. لأن الحقيقة لم تكن ولن تكن إيديولوجيا على مر التأريخ وإلى الأبد. لذلك فالبحث في هكذا قضايا هو نوع من العبث في اللغة على أساس التضحية بالفهم والتفريط بالحقيقة.

5. **الخلاصة**:

جاء هذا البحث ليتناول في ما بين طياته جوانب وإشارات مهمة في تحديد موقع اللغة من فكر ما بعد الحداثة التي عدت اللغة إحدى ركائزها ومنطلقاتها في كثير من المعالجات والإشكالات الفلسفية ، التي انبثقت من صلب اهتمامات فلسفة اللغة وعلاقتها بالفكر والواقع وبمصير الإنسان ,فلغة الشرح والتفسير والتأويل والبيان والشعر وما إلى ذلك من استعمالات اللغة التي تتحدد وفق الاستعمال الإيديولوجيا للغة بناءاً على ما تقدمه إيديولوجيا النص والفهم والتأويل التي تنطلق في تحديد أبعادها وفق المراد الإيديولوجي للشخص المؤدلج .

فإيديولوجيا النص تعني أي إستعمال للغة في صياغة نصوص بلغة معينة سواء كانت قطيعية أم تواصلية ، من أجل بلورة موقف معين لجهة معينة سواء كانت دينية أم سياسية أم اجتماعية ، وغالباً ما تستعمل النصوص الدينية في هذا المجال أكثر من غيرها وذلك لأن الدين هو أكثر هيمنة على نفوس الناس وبالتالي تكون إيديولوجيا النصوص الدينية المساقة من طرف ديني معين أكثر هيمنة على عقولهم ونفوسهم ومن ثم يصبح

التحكم بمفاهيمهم ومدركاتهم وبحسب موجهات الإيديولوجيا أمراً في غاية السهولة بمعنى يتم غسل أدمغتهم بما يفهمه وما لا يفهموه. وهنا يكون التأويل الذي يُستثمر عند صياغة النص وترسيخ الفهم ، من أجل تحديد بوصلة التأويل بما يحقق مكاسب ومصالح الجهات المعنية، في إشاعة فهم وتأويل معين لنصوص معينة واستعمالها إيديولوجيا.

المراجع:

- فيدوح، عبد القادر .(2005). نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية ، ط.1، دمشق: دار الأوائل.
- إبراهيم، أحمد .(ب ت). هيدجر وإشكالية الفهم اللغوي للوجود ، من كتاب اللغة والمعنى .
- معرف، مصطفى .(ب ت). **أبعاد الترجمة والتأويل في فلسفة جاك دريدا** ، من كتاب التأويل والترجمة.
- شارفي، عبد القادر .(ب ت). **لغة الخطاب الصوفي الإشارة والرمز لدى محي الدين بن عربي**، من كتاب اللغة والمعنى.
- كالفي، لويس جان .(2005). **السياسات اللغوية** ، ط.1، (ترجمة ، محمد يحياتن)، الدار العربية للعلوم.
- غراندان، جان.(2007). **المنعرج الهرمونطيقي للفينومينولوجيا** ، ط.1،(ترجمة: عمر مهيبل)، الدار العربية للعلوم .
- فندي، عبد القادر . **التأويل بين رهانات الفلسفة و اكراهات اللغة** ، من كتاب اللغة والمعنى .

- رمزي، عبد القادر.(2010). **الدلالة اللفظية والنحوية وحدود التأويل** ، من كتاب اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة ,تأليف جماعي، ط.1، منشورات الاختلاف.
- تردين، مصطفى.(2009). **التأويل والعلوم الإنسانية عند جورج هانس غادمير** ، من كتاب التأويل والترجمة ,تأليف جماعي ط.1، منشورات الاختلاف.